ولم يقم في الكبريت دليل يقض هذا الاصل فلماذا نضيق على المسلمين ونوقعهم في الحرج بما لا يزيدهم صلاحا في نفوسهم ولا نظافة في ابدانهم مع علمنا بأن الشرع ما حثنا على الطهارة وأمرنا باجتناب النجاسة إلا لأجل ان يكون المؤمن دائما نظيفا ومن زعم انه كلفنا ذلك لاجل إعنائنا وإحراجنا فكتاب الله حكم بيننا وبينه قال تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

باب المقالات

اصلاح الخط العربي

مزية الخط العربي الكبرى التي يمتاز بها على الخط الافرنجي وغيره هي الاختصار فالكلمة الافرنجية تأخذ من مساحة الصحيفة مثل ما تأخذه الكلمة العربية مرتين اومرات كما ترى في اسم (محمد) ويرسم هكذا بحروف الطبع عندهم (Mohammad) ولكن في الخط العربي نقصا لا تشفع له هذه المزية ولا أضعافها من المزايا لو وجدت وهو ان معرفته لا تكفي لصحة قراءته بل يحتاج عارفه الى عدة علوم وفنون وحفظ الكثير من المفردات والفروق لأجل ان يصحح قراءته فكلمة «ملك» على صغرها تقرأ على وجوه كثيرة

مَلَكَ مَلَكٌ مَلَكٍ مَلْكٌ مَلْكٍ مُلْكَ مُلْكٌ مُلْكٍ مِلْكٌ مِلْكٍ مَلَّكَ مُلِّكَ مَلِّكْ مُلَّكٌ مُلَّكٍ مُلُكٌ مُلُكٍ ولهذه الصيغ كلها معان وتقرأ على وجوه أخرى ليس لها كلها معان مستعملة في هذه اللغة لأن الميم فيها ثلاثة اوجه الفتح والضم والكسر واللام فيها هذه الثلاثة مع التخفيف ومع التشديد وفيها السكون والكاف فيها الوجوه الثلاثة مع التنوين والتشديد وعدمهما فيحصل من ضرب وجوه الميم وهي ثلاثة في وجوه اللام وهي سبعة ٢١ صورة

تضرب في وجوه الكاف وهي ١٢ يحصل ٢٥٢ وذلك ان تضيف اليها السكون مع التشديد وعدمه فذلك ستة تضربها في ٢١ يحصل لك ١٢٦ فالمجموع زهاء ٤٠٠ صورة ! . ويكفي في الخلل ان تشتبه الكلمة بوجهين فقط كالمنتخب بكسر الخاء وفتحها بأن لايخطر في بال قارئها ضبط آخر لها

ترتب على هذا الخط مفاسد كثيرة اهمها جعل اللغة العربية وعلومها عسرة التحصيل وكتبها عرضة للغلط والتحريف وكون قرائها كثيري الغلط واللحن حتى انه لا يكاد يوجد الآن في علمائها من يقرأ بدون لحن ولا غلط قط فما بالك بغير العلماء . ولولا هذا العيب في خطنا لكان أكثر العامة الذين يتعلمون القراءة والكتابة قويمي اللسان بهذه اللغة وان لم يتعلموا النحو والصرف ويكثروا المراجعة في المعاجم ولكانت ملكتها قوية فيهم وفهمها يسيرا عليهم فكيف كان يكون شأن العلماء منهم؟

وفي هذا الخط عيب آخر ضارٌّ وهو تشابه حروفها الذي كان سبب كثرة التصحيف والتحريف في كتبها حتى انك ترى الالوف من أسفارها المكتوبة في القرون الخالية لا يوثق بها او لا يستفاد المراد منها او يحتاج فيها الى المراجعة واطالة النظر ليعرف الاصل الصحيح منها

قد اهتدى بعض الاذكياء من أوائلنا الى هذين العيبين في خطنا فوضعوا النقط للتفرقة بين الحروف المتشابهة وكانت تكتب من غير نقط ، ووضعوا الشكل لأجل ضبط الكلمات لتكون القراءة صحيحة لا لحن فيها ولا غلط ، ولكن هذين العلاجين لم يشفيا العلة ولم يرويا الغلة . فاما النقط فمع التزام اكثر المتقدمين وجميع المتأخرين له يكثر التصحيف في مخطوطاتهم فان نقطة الفاء اذا جاءت كبيرة ولو بغير تعمد تقرأ قافا ونقطتي القاف اذا كتبتا صغيرتين او ذهب جزء منهما بسبب ما قرىء القاف فاء ، ويقال مثل ذلك في الباء مع الياء والتاء مع النون . وكثيرا ما يؤخر الكاتب النقطة عن مكانها من الحرف او يقدمها قليلا فتشتبه الكلمة بكلمة اخرى ولا سيما في الحروف التي تكون في أول الكلمة او وسطها نبرة دقيقة وهي الباء والتاء والثاء والنون والياء فكلمة ينبي من البناء تصير بتقديم وتأخير قليل لنقطتي النون والباء «يبني» من الإنباء . ومثل ذلك تشتبه الانباء بالابناء وعلى ذلك قس

واما الشكل فيحصل فيه مثل هذا التقديم والتأخير الذي يكون في النقط لدقته وقرب الحروف بعضها من بعض فيترتب على ذلك الخطأ القطعي او الاشتباه وكلاهما شر . وهو مع ذلك عسير كأن الكاتب يكتب الكلمة مرتين مرة بحروف كبيرة ومرة بحروف دقيقة جدا ولذلك تركها الناس في غير المصاحف الا قليلا . وهو يعسر في الطبع كما يعسر في الخط ولذلك تكون أجرة طبع المشكول مضاعفة ، وأدوات الشكل يسرع اليها الكسر في المطابع لدقتها فيفسد الشكل او يزول في اثناء الطبع ، وقلما نجد نساخا يضبط لك شكل كتاب بنسخه لك فيجيء صحيحا وانذر من ذلك من يستطيع ان يشكل كتابا لم يكن مشكولا فان هذا عمل لا يقدر عليه الا المتمكنون من فنون اللغة كلها مع التمكن من العلم الذي يتضمنه ذلك الكتاب وفهم كلامه بالقرائن والاستعانة على ذلك بمراجعة كتب اللغة وغيرها

اذا أصلح الخط العربي بكتابته مضبوطا غير متشابه الحروف يكون ذلك مزيدا في أعمار العرب والمسلمين الذين يكتبون بحروفهم لانهم يتعلمون في أقل من نصف المدة التي يتعلمون فيها الآن ، ومزيدا في ثروتهم لانهم لا ينفقون حينئذ على التعليم ونسخ الكتب وطبعها الا بعض ما ينفقونه الآن ، ويكون سببا لسرعة ارتقائهم في العلوم والفنون والمدنية لان هذا يتوقف على سهولة التعليم وتعميمه . وبذلك تنتشر اللغة العربية بين المسلمين من الاعاجم بسرعة عظيمة فيقوى فيهم الاسلام نفسه فتنمي به آدابهم وفضائلهم ويأمنون من نزغات الالحاد التي تدخل عليهم الآن من كل باب من أبواب التعليم على منهاج الافرنج فتحل روابطهم الاجتماعية وتفسد آدابهم الملية فيفشو فيهم الفسق والخيانة اذ لا يكون لهم همٌّ الا في الاستكثار من المال لاجل التمتع بلذات الدنيا التي ليس وراءها حياة عندهم .

إن المسلم الذي لا يفهم القرآن فهما صحيحا ولا يعرف السيرة النبوية معرفة حقيقية يسهل تحويله عن الاسلام بالتعليم الافرنجي وان كان من العرب الذين فسدت ملكتهم العربية كأهل بلادنا كلهم فكيف اذا كان أعجميا ؟ ، كنت في مجلس فرأيت أحد الضباط الشبان يحادث طبيبا صديقا لي بجانبه فكان مما قاله له انه يعجب أن يراه متدينا مع تلقيه للعلوم العالية واصل هذا الدين وأساسه القرآن ! (قال) وهو كتاب لم

أو مثله كتابا ركيكا معسلطا يسرع الملل الى قارئه !!! قال لي الطبيب يقول هذا وهو لا يفرق بين الاسم والفعل في العربية ولا يفهم آية فهما صحيحا ! فقلت له ان هذا أحد السببين في ملله من القرآن ، والسبب الثاني هو كفره المادي التقليدي الذي حبب اليه الشهوات والانطلاق من قيود التقوى وكرّه اليه الايمان والعمل الصالح ، ومثل هذا القول لا يصدر عن عربي مؤمن ولا كافر فهما كان حظ العربي من اللغة ضعيفا يفهم في الجملة علوّ القرآن على سائر الكلام . قال الدكتور شبلي شميل وهو فيلسوف مادي مشهور في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إني وان أك قد كفرت بدينه　　هل أكفرنّ بمحكم الآيات
أو ماحوت في ناصع الالفاظ من　　حجج روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها　　ماقيدوا العمران بالعادات

وأثبت الاستاذ جبر ضومط معلم البلاغة في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني والبيان) ان القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه ، وما يؤثر عن مشركي العرب البلغاء في ذلك مشهور لا محل لشرحه هنا وانما نقول ان اشهر وَصْف وُصف به القرآن هو كونه لا يمل تلاوته ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد ، ويظن بعض الناس ان اعتقاد حقيته والاجر على تلاوته هو السبب في عدم الملل فاننا نعتقد حقية الاحاديث الصحيحة والاجر في مدارستها ولكننا اذا قرأنا صحيح البخاري كما نقرأ القرآن دائما على تمادي الايام والسنين نمل من قراءته ولا نستطيع أن نواظب عليها مع النشاط واللذة كما نواظب على تلاوة القرآن . والسبب الحقيقي لعدم الملل من تلاوة القرآن هو أسلوبه الغريب في مزج الحكم والاحكام والقصص والامثال والعظات والبينات ووصف محاسن المخلوقات وسنن الله في الاقوام والالهيات وأصول الايمان ـ مزج كل هذه العلوم بعضها ببعض في جميع السور في عبارات بليغة عالية مؤثرة كما بينت ذلك في العقيدة التي وضعتها للمتوسطين من طلاب العلوم والفنون وانما اطلت في هذا الاستطراد لانبه على أن الجهل بالعربية وعدم فهم القرآن هو الذي يمهد طريق الالحاد ومنه يعلم خطأ الذين

يقولون بترجمة القرآن كسيد الله افندي من علماء الترك وصاحب جريدة العرب التي يبث فيها هذا الفكر ليقنع به قراءها وماهم بالذين يقتنعون

ونعود الى اصل الموضوع فنقول ان اذكياء المسلمين من العرب والترك واذكياء نصارى العرب من السوريين قد فكروا في مسألة إصلاح الخط العربي في أواخر القرن الماضي وأتذكر ان شيخنا الجسر رحمه الله تعالى قد أطلعني في ايام الطلب على حروف رسمها بعض الاذكياء قد جعل الشكل فيها متصلا بالحرف فيكون للحرف عدة أشكال مع حفظ صورته الاصلية ولم يكن هذا مرضيا لمن اطلع عليه من الباحثين . وبحثت مجلة المقتطف في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها ان يكتب العرب لغتهم بالحروف اللاتينية التي يكتب بها الافرنج واستحسن اصحاب المجلة هذا الرأي ان لم تكن ذاكرتي مخطئة — ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون . وقد تصدى بعض الافرنج كالانكليزي ويلمور الذي كان قاضيا في مصر لترويج هذا الأمر والاقناع باختيار اللغة العامية على اللغة الفصيحة ويرى المطلعون على المجلد الاول من المنار مقالاً طويلا منشورا في موضعين (ص ١٠١ و ١٢٠) في مقاومة هذا الرأي عنوانه (صدمة جديدة على اللغة العربية) سببه ان بعض الدعاة الى إقناع العرب باختيار الحروف اللاتينية قد نشر مع بعض الجرائد اليومية بمصر منشورا يدعو فيه الى كتابة اللغة العامية بهذه الحروف وعين جوائز مالية لمن يفعل ذلك . ومن البديهي ان غرض هؤلاء الدعاة هدم اللغة العربية والاسلام جميعا وما ذلك بالامر المستطاع ولو أنفقوا في سبيله جميع مافي اوربا من الذهب

واخترع جميل افندي الزهاوي من اذكياء بغداد خطا جديدا هو أمثل من الخط العربي ومن الخط الافرنجي وعرضه على الناس في مجلة المقتطف فلم يعمل به أحد لان المسلمين هم اصحاب الشأن في هذا الامر ولا يرضون بأن يتغير الخط الذي هو من مقوماتهم الملية وقد كتبت به مصاحفهم وأسفار سلفهم ولاسيما اذا كان التغيير بالانتقال الى خط أعدائهم السياسيين الذين يريدون إزالة سلطانهم من الارض وجعلهم أجراء مسخرين لخدمتهم وهم الافرنج

ذاكرت احمد مختار باشا الغازي في هذه المسألة بمصر منذ سنين فكان مما

قاله لي انا فكرنا في هذه المسألة من قبل وقد كرت انا وناظر المعارف وغيره من كبار رجال الدولة في وجوب إصلاح خطنا ليقرأه صحيحا كل قارئ، فلن ضرر هذا الخلط علينا عظيم ولا سيما في العسكرية فاننا نرسل الضباط من اركان الحرب نظرت بعض المواقع وضبط اسماء معاهدها وطرقها وقراها فيكتبون لنا اسماءها لا اقرأها صحيحة وقد يكون الغلط والاشتباه فيها سببا للفشل في الحرب اذا وقعت فيها فكان من رأيي أن تكون نظارة الحربية أول من يستعمل الخط المضبوط في جغرافيتها فذلك لا يؤثر في التعليم الديني والادبي ولا يهيج علينا المتعصبين من العلماء لكل قديم . ولكن لم يكد ينتشر بين الناس خبر مذاكرتنا في ذلك حتى لغط به الناس وعدوه جناية على الاسلام و بلغني ان بعضهم قال نحن لا نغضب على فلان باشا وفلان باشا اذا قالوا مثل هذا القول لقلة مبالاتهم بالدين ولكن نغضب على احمد مختار باشا (وقال مختار بك لانه لم يكن يومئذ باشا) الذي كنا نظن انه مسلم متدين . ثم قال لي بهذه المناسبة

« ان الاصلاح لا يمكن ان يأتي من تحت الطربوش بل لا بد أن يكون من تحت العمامة فاذا لم يوجد في علماء المسلمين من يقوم بالاصلاح فلا يصلح حالهم حتى ان الخليفة الذي هو امام المسلمين ورئيسهم الديني لا يمكنه وقد خرج من الهيئة العلمية الدينية ان يأتي باصلاح جديد للمسلمين مالم يفته في ذلك شيخ الاسلام »

هذا ـ وانني في السنة الماضية قد رغبت الى المفكرين في الاصلاح اللغوي من اعضاء نادي دار العلوم بمصر ان يبحثوا في هذه المسألة وأن يراجعوا فيها انواع الخط الكوفي وغيره من الخطوط الاسلامية القديمة ويختاروا منها حروفا لا يشتبه بعضها ببعض ولو بالتدقيق وان يبحثوا ايضا في طريقة كتابتها مضبوطة بغير هذا الشكل الدقيق العسر . وكان بعض المفكرين من الفرس وغيرهم رأى ان تكتب الحروف العربية المشهورة الآن متقطعة ويجعل الالف بعد الحرف المفتوح

والواو بعد الحرف المضموم والياء بعد الحرف المكسور وان يكتب الحرف المشدد مرتين كما هو الاصل فيه ولذلك يسميه الصرفيون مضاعفا ورأيت كتابا مطبوعا على هذه الطريقة ولكن فيها اشكالات ومعايب ولم يرضها اكثر المطلعين عليها

ولما جئت القسطنطينية في العام الماضي عرفت فيها الطبيب اسماعيل حقي افندي الميلاسلي فرأيته مهتما بهذه المسألة أشد الاهتمام وقد وضع فيها كراسة لإصلاح هذا الخط على ان يكتب حروفا مقطعة ويكتب بجانب كل حرف من حروف الكلمة حرفا لضبط حركته يقرب من حروف العلة لانه يرسم بتغييرها فيها وزاد حروفا جديدة لضبط الخط التركي لأن في اللغة التركية من الاصوات ما لامثل له في العربية . وهو يوزع هذه الكراسة على من يرجو منهم العناية بهذا الاصلاح جزاه الله خيرا ولكن هذا الخط يحتاج الى تعليم جديد ولا ينطبق على القديم من كل وجه وفيه علل أخرى فلا أرى ان الجمهور يقبله كما هو

ورأيت ههنا (في القسطنطينية) أيضا بحثا وجدالا بين الارنؤط في المفاضلة بين الحروف العربية والحروف اللاتينية فكان بعضهم يرجح الحروف اللاتينية لأن لغتهم تتأدى بها أداء صحيحا لان حروفهم وأصواتهم عين حروفها وأصواتها ولأنها هي الاصل المستعمل عندهم . وخالفهم الاكثرون محتجين بأن تلك الحروف تبعدهم عن الاسلام والحروف العربية تقربهم منه وقد نفذ رأي الاكثرين بعد ان انتصر لهم اكثر المبعوثين منهم وصدر أمر الحكومة باعتماد الحروف العربية في تعليمهم وكانوا يتعلمون لغتهم في بعض مدارس الحكومة بالحروف اللاتينية . وقد ذاكرت اسماعيل كمال بك اشهر مبعوثيهم في هذه المسألة وقلت له اذا ترجح عندكم استعمال الحروف العربية فيحسن أن تستعملوها على طريقة إصلاحية اذ لا صعوبة في ذلك عندكم كما يصعب على ان من ألفوا الطريقة القديمة التي يكثر خطأها وتحريفها . فقال انه لا يمكن ان يكون بدء هذا الاصلاح من شعب اسلامي صغير بل يجب ان يبدأ بمثل هذا العرب انفسهم وسائر المسلمين يتبعونهم فيه

هذا ملخص ما أتذكره الآن من شعب هذه المسألة المهمة وان لي رأيا في هذا الاصلاح كنت أريد ارجاءه الى الوقت الذي يسهل فيه إيضاحه ويرجى قبوله

ولكن قوى الداعية الى التنويه به الآن وسأوضحه في فرصة أخرى بعد سبك الحروف على الوضع الذي يتضح به

أرى انه يمكن اصلاح هذا الخط إصلاحا يحافظ فيه على أشكال الحروف المعهودة، وشكولها المعروفة، أومايقرب منها، ولا يحتاج فيه الى تعليم جديد للمتعلمين، ولا الى ابطال كتب السابقين، ويؤمن فيه مع ذلك من الاشتباه والتحريف والتصحيف والغلط الكثير، من غير إضاعة لما فيه من مزية الاختصار بالمرة، وليبدأ هذا الاصلاح بالطبع فهو من سهلاته مع قلة النفقة . واننا نشير الى ذلك بالايجاز ثم نشرحه عند مايتيسر لنا سبك حروف جديدة له عند عودتنا الى مصر الا أن يفهمه ابراهيم بك رمزي صاحب مسبك التمدن بمصر أو بعض ذوي العناية هنا فيعجلوا بسبك الحروف له فيكونوا من السابقين الى الاصلاح الذي نحمده لهم ونشكرهم عليه

أرى ان تكون الحروف متفرقة فهذا شرط لايتم الاصلاح بدونه ولكن الحروف التي تتصل بغيرها تكتب على حدتها بالصورة التي تكون عليها اذا كانت في أول الكلمة الا ماأشتبه بغيره منها وكان المميز له النقط فقط فيترك على وضعه المفرد من غير تغيير او بتغيير قليل لايخفى به على أحد ولا يحتاج معه الى تعليم جديد ولا يكتفى بالتمييز بالنقط . وذلك ان تكون الباء دائما هكذا (بـ) والتاء مثلها ولكن نبرتها أو سنها تكون من الاسفل كما ترسم في خط الثلث (تـ) والثاء والنون والياء هكذا دائما (ثـ ، نـ ، يـ) والجيم هكذا (جـ) والحاء مثلها ولكن يلتقي الطرفان الايسران منها اللذان كضلعي الزاوية او تجعل كالثاء هكذا (حـ) وأما الخاء المعجمة فتكون هكذا (خـ) بزيادة نبرة من الطرف الايسر . ويفرق بين الدال والذال بجعل أحدهما على الصورة التي يكتبه بها المغاربة اي بزيادة شنخوب فيكون قريبا من الكاف الصغيرة في أول الكلمة ولا يشتبه بذلك على احد . ويفرق بين الراء والزاي كما يفرق بينهما في قاعدة الثلث (ر ، ز) وبين السين والشين كذلك بجعلهما هكذا (س ، ش) ـ وبين الصاد والضاد هكذا (ص ، ض) وبين الطاء والظاء بجعل عمود احداهما معقوفا كما يرسم في الخط الديواني ـ وبين العين والغين بجعل احداهما ذات شنخوب كما ترسم في

الخط الثلث أحيانا ـ وبين الفاء والقاف هكذا (ف ، ق) ولا بأس بجعل نقطة الفاء من الاسفل ونقطة واحدة للقاف من الاعلى كما يكتب المغاربة . وتكتب سائر الحروف هكذا (ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، ة ، و) والرسم الثاني للهاء يخص بالمشتركة بين الهاء الهاء . وهمزة الوصل تكتب ألفا بغير علامة أو بالعلامة المشهورة هكذا (اً) وهمزة القطع هكذا (أ) والممدودة هكذا (آ) وأما ألف المد فيبقى على صورته (ا) إن جعلنا همزة الوصل ذات علامة والا جعلناه هكذا (ا) وواو المد يكون هكذا (و) وياء المد هكذا (ـــ)

هذا ما نكتبه الآن في وصف هذا الضرب على اصلاح الحروف بالاختصار ونرجي التفصيل وبيان الجزئيات الى ان تسلك الحروف على الوضع الذي أشرنا اليه

وأما الشكل الذي يضبط به الكلام وهو الاهم فيمكن ان يستغني فيه عن علامة الفتح لانه هو الاكثر ويوضع للرفع والكسر هذه الاداة المعروفة في طباعتنا الآن (،) ويفرق بينهما بكيفية وضعها هكذا (و ـ ،) واذا كان الحرف منوّنا توضع مزدوجة هكذا (وو ـ ،،) والحرف المفتوح المنون يوضع له علامة أخرى إما العلامة المشهورة واما غيرها كعلامة التعجب المشهورة في المطبوعات المصرية مكررة مرتين فقط (!!) وعلامة السكون المعهودة في شكلنا تجعل كبيرة وتبقى على حالها . واما الحرف المشدد فاما أن نبقي له علامته المشهورة مع تكبيرها قليلا واما ان نكتبه مرتين كما هو الاصل فيه

هذا ما أعرضه الآن موجزا مجملا على نادي دار العلوم بمصر وعلى محبي الاصلاح من العلماء وأصحاب الجرائد والمطابع والمسابك ليبحثوا فيه ولهم ان يختاروا بعض الاشكال والشكول على بعض ولكن لا ينبغي أن يطول السكوت على هذا الخلل العظيم والله الموفق